الغباء الجماعي

والذكاء الفردي ودروس من التاريخ

بقلم

محمد عرموش

الغباء الجماعي

والذكاء الفردي ودروس من التاريخ

بقلم

محمد عرموش

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

(الذكاء الفردي) هو أهم ما يميز -في تقديري- المصريين ، فالمصري تقريبًا يفهم في كل شئ ويحاول دائمًا أن يعرف معلومات كثيرة وتفاصيل أكثر عن موضوعات ليس مطلوب منه أصلًا أن يعرفها بكل هذه التفاصيل ، فتراه يفهم في السباكة والكهرباء والميكانيكا والأدوية المطلوبة لمعظم الأعراض والأمراض الشائعة ، كما يمكنه أن يذاكر لأولاده الدروس المختلفة ، كما يعرف الكثير عن البناء والتشطيب ، كما يمكنه في أي وقت الحديث عن موضوعات الساعة ، كمحلل سياسي استراتيجي أو خبير عسكري أو مدرب كرة قدم ، إلي غير ذلك من التخصصات التي قد يهتم بها أكثر من اهتمامه بتخصصه هو

ولكن كل ما سبق وهو ما أسميه (الذكاء الفردي) له سبب يدفعه إلي اللجوء إليه ، وهذا السبب أسميه (الغباء الجماعي)

وقد يكون انتشار ما أُسميه بالذكاء الفردي من أعراض مرض المجتمع الذي ألاحظه بوضوح ، وهو يحدث عندما يقوم الفرد بالقيام بعمله ناقص بعض الخطوات وعندها سوف تحتاج أن تقوم بإكمال هذا النقص حتي تحصل علي خدمة كاملة ، والمفترض أن يقوم كل فرد بأداء عمله كاملاً فيؤدي نفس الخدمة بنفس الجودة للجميع ، وهذا ما يمكن أن نسميه (الذكاء الجماعي)

أما عندما يسود (الغباء الجماعي) فكل شخص في المجتمع مطلوب منه أن يستكمل أعمال الآخرين التي تخصه ، فلابد له أن يفهم في أعمال الآخرين ويلم بها حتي لا تضيع مصالحه وسط المجتمع ، وبالتالي ينمو ذكاءه الفردي ومعارفه ومعلوماته ومهاراته الفردية وعلاقاته وهو ما يجعله يتكلم في كل شئ ويحاول أن يفهم كل شئ وسيؤدي ذلك بالطبع إلي عدم إمكانية أن يُكمل أو يؤدي عمله هو شخصياً كاملاً فيؤثر ذلك علي الآخرين ، وهكذا

فهذا النوع من المجتمعات يعتمد الفرد فيه علي نفسه ولا يثق في المجتمع ولا يشعر بالأمان إلا عندما يتولي كل شئونه بنفسه أو علي الأقل يتابع ما يفعله الآخرون لخدمته ، وقد تتولد كراهية المجتمع لدي الفرد

أما مجتمع (الذكاء الجماعي) فلا يعرف أحد أي معلومات بالكاد إلا عن عمله فقط ولا يتحدث بعمق أو يفتي إلا في تخصصه فقط ويمكن اتهامه (بالغباء الفردي) وقد يكون الفرد سعيد بغباءه الفردي في نظير ذكاء مجتمعه الذي لا يجعله يشعر بأي مشاكل من أي نوع في جميع تفاصيل حياته ، فهو يرسل ابنه إلي

المدرسة مثلًا وينسي أمره تمامًا . ولا يشغل باله فهناك –في المدرسة– من سيقوم بالعمل كاملًا نحو ابنه وبالتالي سيتفرغ هو تمامًا ويركز في أداء عمله الذي سيستفيد منه المجتمع بما فيه العاملون والمدرسون في مدرسة ابنه

وهذا الكتاب يوضح هذه الظاهرة لعله يضيئ الطريق نحو الحلول الممكنة إن شاء الله

وأرجو أن يلتمس لي القارئ العزيز العذر إذا ما وجد أي أخطاء ويفترض حُسن النية

والله من وراء القصد وهو المستعان .

محمد عبد العزيز عرموش

المحتويات

Contents

المقدمة ٣

المحتويات.. ٥

الاعتراف ٦

الأعراض ٨

الذكاء الفردي وكراهية المجتمع : ٨

هل تعرف أحد في المكان الفلاني ؟ : ٩

دفع العربة في الاتجاه الصحيح : ١٠

لن يُفلت أحد من الغباء الجماعي ١١

الشماعة : ١٢

كيف وصف علماء الحملة الفرنسية الشعب المصري ١٣

الفن والوعي العام : ١٥

أنا من طرف فلان.. ١٦

تجاوز الدور في الطابور.. ١٧

عاطفيون.. ١٩

بعض مما كُتِب عن المصريين ٢٠

خصائص الشخصية المصرية : ٢٠

الطبيعة المصرية في أوهام الناس طبقاً لما كتب الأستاذ العقاد :........................ ٢٣

أكذوبة الاستبداد الشرقي : ٢٤

المؤرخ ستانلي لين بول ووصفه الممتع لاحتفال المصريين بمولد سيدنا الحسين سنة ١٨٨٢ م : ٢٧
دروس وعبر من التاريخ ٢٨
أخلاق الدول تختلف عن أخلاق الأفراد ٢٨
الفرق بين التغريب والتحديث ٣٠
هرم الحاجات المختل ٣١
أحاديث في حقوق المسلم ٣٣

الاعتراف

لا يمكن لمريض أن يتعافي إلا إذا اعترف أولًا أنه مريض وفي حاجة للعلاج ، ويجب علي من حوله تنبيهه وعدم خداعه وإعلامه بحقيقة مرضه أو علي الأقل بما يرونه منه ويلاحظونه عليه ، فهناك بلا شك أعراض تتضح وضوح الشمس للمحيطين به ، بل ولا تحتاج إلي دليل كالنهار ، وكما يقول المتنبي

وَلَيسَ يَصِحُّ في الأَفهامِ شَيءٌ ---إِذا اِحتاجَ النَهارُ إِلى دَليلِ

وإذا كان المرض مصاب به المجتمع ككل أو معظمه فهو يُعد من الأمراض المجتمعية أي مرض اجتماعي ، وفي هذه الحالة لابد لكل من يدرك طبيعة هذا المرض أن يوضحه للجميع فيحاول كل من تتوفر له وسائل العلاج أن يشارك في علاج المجتمع

أما من يعرف طبيعة المرض جيدًا ولا يلفت انتباه أحد إليه فهو إما أنه لا يُقّدر خطورة موقفه أو أنه مستفيد علي المستوي الشخصي من السلبيات المنتشرة في المجتمع الذي يعيش فيه ، وقد يصل ما يقوم به إلي حد ارتكاب جريمة في حق هذا المجتمع المريض عندما يحاول خداعه فيؤكد للجميع أنه مجتمع طبيعي بل ويبالغ فيصفه بالمجتمع المثالي

وإذا تأملنا بعض ما كتبه د جمال حمدان عن المجتمع المصري سنجده يصفه وصفًا بليغًا حين قال :

(، - - - فنحن كشعب – لابد لنا بصراحة أن نعترف – لا نحب فقط أن نمجد أنفسنا بحق وبغير حق ، ولكننا أيضاً نحب أن نسمع عن أنفسنا ما يرضينا ويعجبنا أو يرضي إعجابنا بذاتنا الوطنية وبشخصيتنا

القومية ، بل إننا لنكره أشد الكره أن نسمع عن عيوبنا وشوائبنا ، ونرفض بإباء أن نواجهها أو نواجه بها ، ولا تكاد توجد فضيلة أو ميزة علي وجه الأرض إلا وننسبها إلي أنفسنا ونلصقها بها ، وأيما رذيلة أو عيب فينا – إن هي وجدت علي الإطلاق – فلا محل لها لدينا من الإعراب أو الاعتراف ، وإن اعترفنا بها علي مضض واستثناء فلها عندنا العذر الجاهز والمبرر والحجة المقنعة أو المقنعة ، ، ومن طريف ما يلاحظ في هذا الصدد أننا ، حين نرجع مثلاُ فيما نكتب عن أنفسنا إلي كتابات الرحالة والمؤرخين العرب في العصور الوسطي أو الكتاب الأجانب المعاصرين ننتخب منها فقط تلك الإشارات الطيبة والمرضية ونحشدها حشداُ كفضائل مصر مهملين ببساطة شديدة كل الإشارات العكسية أو المعاكسة التي أوردها الكاتب نفسه والتي قد تكون أضعاف الأولي كماُ وكيفاً ، ليس هذا فحسب أو ليت هذا فحسب فما أكثر بعد ذلك ما نقلب عيوبنا عن عمد إلي مزايا ونقائصنا إلي محاسن ، بل أسوأ من ذلك قد نتباهي ونتفاخر بعيوبنا وسلبياتنا ذاتها ، – – – ويبدو عموماً أننا كلما زاد جهلنا بمصر كلما زاد تعصبنا لها ، بل الملاحظ أننا كلما ازدادت أحوالنا سوءاً وتدهوراً كلما زاد تفاخرنا بمجدنا وعظمتنا – – –

أياً ما كان ، فنحن معجبون بأنفسنا أكثر مما ينبغي وإلي درجة تتجاوز الكبرياء الصحي إلي الكبر المرضي ، ونحن نتلذذ بممارسة عبادة الذات في نرجسية تتجاوز العزة الوطنية المتزنة السمحاء إلي النعرة الشوفينية الساذجة البلهاء أو الهوجاء ،

وبديهي أن هذا الشعور يرجع في حالتنا إلي ميراث القرون والأجيال الكاتمة الكئيبة من الاستعمار والتبعية والاستبداد والمذلة والتخلف والفقر ، ومن هنا جميعاً تبدو الهوة هائلة والتناقض فاحشاً إلي حد السخرية بين واقعنا وحقيقتنا وبين ادعاءاتنا وطنطناتنا

--- حتي عن مستقبل مصر نحن إما متفائلون بإسراف يدعو إلي السخرية والإشفاق أو متشائمون إلي حد متطرف قابض للنفس ، ففي النظر إلي مستقبلنا نلاحظ غالباً أن هناك من جهة خطر المتفائلين إما بسذاجة أو بخبث شديد أولئك الذين يفضلون خداع النفس لراحة البال علي مواجهة الحقيقة المرة (في عينها) ، ومن جهة أخري خطر المتشائمين المنذرين الذين أفقدهم التوتر حس النسبية الصحيح هم أيضاً ، باختصار مصر إما بخير دائماً ، أو في خطر أبداً ، وكلا الحكمين لا يري أو يضع الحقائق في حجمها الطبيعي السليم ،

-- لا غرابة بعد هذا كله أن نجد معظم ما يكتب عن مصر غالباً ما يجنح إلي المغالاة والتطرف إما نحو التهويل أو التوهين ، التمجيد أو التنديد ،

لا يمكن لكاتب أو عالم أو مفكر أن يوجه إلي مصر نقداً موضوعياً بناء صادقاً ومخلصاً إلا وعد علي التو والفور وللغرابة والدهشة عدواً بغيضاً أو حاقداً موتوراً إن كان أجنبياً ، وخائناً أعظم أو أحقر إن كان مصرياً ، وهذا وذاك إنما افتراءات علي مصر والمصريين أو أكاذيب وأباطيل ، ، إلخ ، وبالاختصار فنحن المصريون أكبر جداً من النصح ، ومصر فوق النقد

والحقيقة أن ابن مصر البار الغيور علي أمه الكبري إنما هو وحده الذي – لصالحها – ينقدها بقوة وبقسوة إذا لزم الأمر وبلا مداراة أو مداورة ،

الأعراض

الذكاء الفردي وكراهية المجتمع :

وقد يكون انتشار ما أُسميه بالذكاء الفردي من أعراض مرض المجتمع الذي ألاحظه بوضوح ، وهو يحدث عندما يقوم الفرد بالقيام بعمله ناقص بعض الخطوات وعندها سوف تحتاج أن تقوم بإكمال هذا النقص حتي تحصل علي خدمة كاملة ، والمفترض أن يقوم كل فرد بأداء عمله كاملاً فيؤدي نفس الخدمة بنفس الجودة للجميع ، وهذا ما يمكن أن نسميه (الذكاء الجماعي)

أما عندما يسود (الغباء الجماعي) فكل شخص في المجتمع مطلوب منه أن يستكمل أعمال الآخرين التي تخصه ، فلابد له أن يفهم في أعمال الآخرين ويلم بها حتي لا يضيع وسط المجتمع ، فهو مثلاً يفهم في أعمال السباكة والكهرباء والميكانيكا ويعرف الأدوية المناسبة لأولاده عندما يشعرون ببعض الأعراض المرضية ، كما أنه يشرح لهم الدروس المقررة عليهم في المدارس ، كما أنه لو دخل في قضية مثلاً لابد أن يفهم في ثغرات القانون وإذا أراد أن يبني بيتاً لابد أن يفهم في أسلوب البناء ، وغير ذلك الكثير والكثير من الأعمال التي لابد أن يلم بها حتي يتابع ما يجب أن يعمله الآخرون لصالحه ، وبالتالي ينمو ذكاءه الفردي ومعارفه ومعلوماته ومهاراته الفردية وعلاقاته وهو ما يجعله يتكلم في كل شئ ويحاول أن يفهم كل شئ وسيؤدي ذلك بالطبع إلي عدم إمكانية أن يُكمل أو يؤدي عمله هو شخصياً كاملاً فيؤثر ذلك علي الآخرين ، وهكذا

فهذا النوع من المجتمعات يعتمد الفرد فيه علي نفسه ولا يثق في المجتمع ولا يشعر بالأمان إلا عندما يتولي كل شئونه بنفسه أو علي الأقل يتابع ما يفعله الآخرون لخدمته ، وقد تتولد كراهية المجتمع لدي الفرد

أما مجتمع (الذكاء الجماعي) فلا يعرف أحد أي معلومات بالكاد إلا عن عمله فقط ولا يتحدث بعمق أو يفتي إلا في تخصصه فقط ويمكن اتهامه (بالغباء الفردي) وقد يكون الفرد سعيد بغباءه الفردي في نظير ذكاء مجتمعه الذي لا بجعله يشعر بأي مشاكل من أي نوع في جميع تفاصيل حياته ، فهو يرسل ابنه إلي المدرسة مثلًا وينسي أمره تمامًا . ولا يشغل باله فهناك –في المدرسة– من سيقوم بالعمل كاملًا نحو ابنه وبالتالي سيتفرغ هو تمامًا ويركز في أداء عمله الذي سيستفيد منه المجتمع بما فيه العاملون والمدرسون في مدرسة ابنه

هل تعرف أحد في المكان الفلاني ؟ :

(هل تعرف أحد في المكان الفلاني ؟) هذا السؤال منتشر بكثرة في مجتمعات (الغباء الجماعي) فأنت لن تتمكن من إنهاء مصلحتك في أي مكان غالباً إلا إذا كنت تعرف أحد في هذا المكان كي يخدمك أو علي الأقل تعرف أحد الأشخاص الذين لهم علاقة بهذا المكان فكل شخص في هذا النوع من المجتمعات يستخدم وظيفته أولاً في خدمة نفسه وأسرته وأقاربه ومعارفه ومن العيب جداً أن يتوجه إليه قريب له أو صديق ولا يخدمه خدمه خاصة تليق بالصداقة أو القرابة مع أنه من المفروض كما ذكرنا أنه يجب أن يؤدي نفس الخدمة بنفس الجودة للجميع ، كما يحدث في مجتمع الذكاء الجماعي فهناك لا تحتاج لأن تعرف أحد في أي مكان كي تنهي مصلحتك في أمان وسرعة ، ولكن للأسف الشديد في مجتمعات الغباء الجماعي تحتاج إلي علاقاتك ومعارفك وذكاءك الفردي ، الذي يجعلك تنهي جميع مصالحك دون أن تشعر بالذل والإهانة أو البطء وعدم الاهتمام ، كما أن هذا المجتمع قد يؤدي إلي انتشار الرشاوي فهي البديل الوحيد للعلاقات ، فأنت إن لم تتمكن من تنفيذ خدمة من مكان عملك للشخص الذي ذهبت أنت لمكان عمله كمصالح متبادلة تنتهي بجملة (أي خدمة يا باشا من المكان الذي أعمل فيه) إذا كنت لا تملك ذكاء فردي أو خدمات متبادلة فقد تحتاج لتخليص الموضوع بالرشوة أما إذا لم تكن تملك مالاً ففوت علينا بكرة يا سيد لأن أوراقك غير كاملة ، في حين أن هناك من ينهي لنفسه هذه المصلحة وليس فقط أوراقه غير كاملة بل إنه لم يغادر منزله أساساً وكل حاجة تخلص ، لأنه علي علاقة جيدة بمن في أيديهم هذه المصلحة

وأنا لا ألوم أحد علي الإطلاق في مجتمع الغباء الجماعي لاستخدامه ذكاءه الفردي طالما أنه يريد الحصول علي حقه فقط وليس أكثر ، ولا أريد أن يدفع أحد رشوة لأحد ، طالما أن ثقافة استخدام العلاقات والذكاء الفردي هي الثقافة العامة السائدة في المجتمع بل يفخر بها بعض الناس فهي في نظرهم (جدعنة) أو شهامة فكيف أكون أعمل في مكان ما وأعز أحبابي وأصدقائي يتعثرون فيه ؟ هذا لا يمكن حدوثه

فالذكاء الفردي يا عزيزي قد يوقف قطار مثلاً في محطة لا يجب أن يقف فيها

بل من الممكن أن يقف في مكان ليس فيه محطة أساساً ، والذكاء الفردي قد يُدخل بضائع إلي البلد لا تصلح للاستخدام أو أدوية أو قطع غيار أو أغذية أو أي شئ ليس في صالح المجتمع ، والذكاء الفردي قد يعطي شهادات دراسية بل قد تصل إلي شهادات عُليا لمن لا يستحقها ، وكل واحد في مكانه (باشا) كبير والجميع في حاجة إليه ، وعندما يذهب إلي مكان آخر يصبح علي الفور في حاجة إلي من في المكان الآخر ، وعليه أن يقوم بما يرضي الباشا الآخر ، وهنا نجد روح الانتقام إلي حد ما تسود مجتمع الغباء الجماعي ، فكل منهم ينتظر الآخرين عند حضورهم إلي (ملعبه) ليُشبِع غروره ويريهم سلطاته وإمكانياته فيعذب المجتمع نفسه بنفسه

والطريف أنه عندما يتصادف وجود شخص من مجتمعات الغباء الجماعي وسط مجموعة من مجتمعات الذكاء الجماعي يحدث لهم انبهار واندهاش بمعلوماته الغزيرة في كل الأمور فهو يفهم في كل الموضوعات التي يتم فتحها خلال الحوار وهم لا يعرفون عنها شيئاً لأن كل منهم لا يفهم ولا يتكلم إلا في تخصصه فقط ، ومعلوماتهم محدودة جداً في باقي الأمور ، فكل فرد في مجتمع الغباء الجماعي يمكنه أن يصبح خبيراً استراتيجياً أو مدير فني لكرة القدم أو محلل سياسي أو فقيه دستوري أو مفتي شرعي حسب الأحوال وحسب موضوع الحوار ، وهو قد لا يعرف عن تخصصه ما يجب أن يعرفه علي الوجه الأكمل ، ويتسائل الناس في مجتمع الذكاء الجماعي كيف تكون ملماً بالمعلومات لهذا الحد وأنت في مجتمع متخلف إلي هذا الحد ، والإجابة في غاية البساطة ، لأن في مجتمع الغباء الجماعي كل شخص يُسخِّر معلوماته وقدراته ومهاراته لخدمة مصالحه الشخصية التي هي أهم من الصالح العام فهو يكره المجتمع الذي لا يخدمه فيحاول أن يخدم نفسه فيوفر كل مجهود وكل طاقة لخدمة مصالحه الشخصية ، فيمكن أن تجده يهتم بنظافة منزله ولا يكترث لنظافة الأماكن العامة ، ففي مجتمعات الغباء الجماعي تكون المنازل نظيفة أما الشوارع والطرقات والميادين قد تكون غير نظيفة وتنتشر بها القمامة

دفع العربة في الاتجاه الصحيح :

في مجتمعات الغباء الجماعي الكل يحاول أن يدفع العربة في الاتجاه الذي يوافق مصالحه فقط فمنهم من يدفعها من الخلف ومنهم من يدفعها من الأمام بل إن هناك من يدفع العربة من الأجناب متصوراً أنها ستتحرك في الاتجاه الذي يرغب فيه ، والنتيجة الحتمية أن العربة لن تتحرك أبداً في أي اتجاه ، الكل يدفع دون أن يكلف نفسه حتي مشقة النظر إلي وضع العربة وأين توجد مقدمتها فهو لا يري سوي هدفه هو

فقط والعربة بشكل عام ، أما مكانه بالنسبة للآخرين ومكانهم بالنسبة له وبالنسبة للعربة كل هذا لا يكون واضحاً في مجتمع الغباء الجماعي ، في حين أن الجميع يدفع العربة في مجتمع الذكاء الجماعي في اتجاه واحد فقط فهي دائمة الحركة وتمر علي جميع الأهداف والأماكن حسب أولوياتها وترتيبها والكل ينتظر في اطمئنان لتأكده من أن العربة حتماً ستمر بالمكان الذي يرغب فيه ، هذا هو الفرق ، الإحساس بالأمان والاستقرار نتيجة للذكاء الجماعي ، والإحساس الدائم بعدم الثقة في الغد في مجتمع الغباء الجماعي فالجميع يتصور أنه علي حق وأنه الوحيد الذي يعمل عملاً محترماً مفيداً أما الآخرين فلا يهتم بما يفعلونه بل إنه يحتقر أحياناً ما يفعله الآخرون

في مجتمع الذكاء الجماعي كل عمل محترم مهما صغر فالكل يشعر بعمل الكل والكل يستفيد من أعمال الآخرين لأن الجميع يدفعون العربة في الاتجاه الصحيح ، ولا يهم نوع العمل طالماً أنه يخدم الجميع دون تفرقة أو محسوبية أو وساطة

لن يُفلت أحد من الغباء الجماعي

وواهم من يتصور أنه باستخدام ذكاءه الفردي وأمواله ونفوذه وعلاقاته سيصبح في أمان في مجتمع الغباء الجماعي ، فهو لابد سيقع في يوم ما –دون أن يشعر– في خطأ ناتج عن هذا الغباء قد تكون قطعة غيار غير صالحة تم تركيبها في سيارته ، أو قد يكون دواء فاسد أدخله شخص فاسد فتناوله ابنه أو ابنته ، أو قد يكون تصميم خطأ لمهندس فاشل نتج عن نظام تعليم فاسد فيسقط المبني بمن فيه

إن من يتصور أنه فوق القانون أو وصل به ذكاءه الفردي أنه يضع بنفسه القوانين سوف يصبح ضحية لشخص آخر يخالف القانون ، فمن يخالف قوانين محددة لا يجب أن يلوم الآخرين علي مخالفة قوانين أخري مثل قانون المرور مثلاً ، فيصطدم به شخص يسير في الاتجاه المعاكس ، فيقول عنه أنه متخلف وغبي ويخالف القانون ، لا يجب عليه أن يقول ذلك لأنه هو نفسه يخالف قانون آخر لا يشترط أن يكون قانون المرور ، ولكن قانون يري من مصلحته مخالفته وكذلك الآخر يري نفس الرأي ولكن لا مكان للقانون في مجتمع الغباء الجماعي ، فالقانون والإجراءات والأوراق وكل شئ يخضع للذكاء الفردي وحتي الأدلة تخضع للذكاء الفردي سواء من حيث الإخفاء أو الإظهار طبقاً لما تقتضيه المصلحة

والطريف أنه عندما يختلف اثنان من مستخدمي الذكاء الفردي فسوف تشاهد معركة علي أعلي مستوي يُستخدم فيها النفوذ والعلاقات والأموال ، وكل قوي هناك من هو أقوي منه وكل ذكي هناك من هو أذكي

منه ، وستستمع بلا شك إلي السؤال الشائع في هذا النوع من المجتمعات (انت مش عارف انت بتكلم مين ؟)

والطريف أيضًا أن القانون الوحيد الذي يُطبّق علي الجميع بلا استثناء في مجتمع الغباء الجماعي هو قانون الجاذبية الأرضية فقط ، فلا يستطيع أن يخالفه أحد مهما بلغ ذكاءه الفردي

الشماعة :

وعندما ينتشر الفساد في مجتمع ما ، يكون له ميزة رائعة للبعض ولا أريد أن أقول لمعظم أفراد المجتمع فهذا العبث العام يصبح (شماعة) لجميع الأخطاء ومبرر قوي ومقنع لكل مخالفة ، فهناك مصطلح يستخدمه البعض فيقول (الدنيا خربانة) ، ما أكثر ما يُستخدم هذا المصطلح لتبرير الأخطاء ، فإذا لام شخص شخصً آخر علي خطأ فادح ارتكبه ، يرد علي الفور أن الدنيا خربانة وهذا الخطأ ليس السبب الوحيد في خرابها فالأسباب كثيرة جداً وليس من المعقول أن يكون هذا الخطأ فقط هو المسئول عن كل ما يحدث في الدنيا التي يراها خربانة ، بل يتمني البعض أن يظل هذا العبث مستمر وهذا الخراب مستمر لكي لا يعمل بالشكل الصحيح فالجميع كذلك ولن تقف الدنيا عليه هو فقط

فيا له من مبرر ومخدر للضمير ، فتصور أن كل شئ يسير بشكل منضبط ، يا للهول ، سوف يكون عليه أن يؤدي عمله علي أكمل وجه ، ولن يلجأ إلي الطرق الملتوية لتحقيق أهدافه كم سيكون ذلك شاقاً ومؤلماً ، فالأفضل أن تظل الدنيا خربانة والشماعة جاهزة والضمير في غيبوبة مريحة ، بل الطريف أن في هذا المجتمع الذي يتسم بالغباء الجماعي عندما يقوم أحدهم بعمله كما ينبغي يُصبح مثار للسخرية والتهكم من الآخرين ، ويقولون أنه عايش الدور وكلام من هذا القبيل فهم يكرهون من يفضح مسلكهم ويقطع الطريق علي مبرراتهم فالمناخ من وجهة نظرهم لا يصلح للعمل ويريدونه هكذا دائماً فكيف يعمل هذا الشخص في هذا المناخ ، وقد قيل من قبل أنه إذا أردت أن تعمل فابحث عن الوسائل ، وإذا أردت أن لا تعمل فابحث عن المبررات

ولا يمكن أن نحكم علي شعب ما بأنه شعب غير أصيل وغير طيب إلا عندما نعرف الظروف التي يمر بها والدوافع التي تجعل تصرفاته تتسم بصفات غير حميدة ، فقد يكون هناك من يدفعه دفعاً لهذا السلوك دون رغبة منه ، فتراه يتصرف كشعب أصيل ورائع عندما تختفي هذه المؤثرات ، فالمصري مثلاً ينجح بشكل منقطع النظير عندما يعمل خارج مصر ، فهو يجد نفسه في مجتمعات تتسم بالذكاء الجماعي ، وهو يحمل ذكاءه الفردي من مصر فيتفوق تفوق يندهش له الجميع ، بل إن هناك مثل أفضل من ذلك ورد في كتاب

موسوعة وصف مصر الذي قام بإعداده مجموعة من علماء الحملة الفرنسية وقد وصفوا فيه مصر وصفاً دقيقاً وكان سلوك الشعب من الأمور التي قاموا بوصفها وتحليلها تحليلاً علمياً بل قاموا بتبرير بعض هذه التصرفات في تلك الفترة من تاريخ مصر مما يؤكد أن كل ظروف يمر بها الشعب تؤثر علي تصرفاته بشكل مختلف عن سلوكه الأصيل الطبيعي

كيف وصف علماء الحملة الفرنسية الشعب المصري

فكيف وصف علماء الحملة الفرنسية الشعب المصري ؟ ، فمما كتبه علماء الحملة الفرنسية في الجزء الأول من كتاب (وصف مصر) عن عادات وتقاليد الشعب المصري في ذلك الوقت :

(يوجد في مصر – شأنها في ذلك شأن بقية بلدان الشرق – خليط مضطرب من العادات والتقاليد ، تعود إلي أصول متنوعة ، وتنتج عن أسباب كثيرة ، وهل كان يمكن للأمر أن يكون علي نحو آخر في بلد يمكن القول بأن كافة الأمم قد اختلطت فيه ؟ فالعادات إذن تتنوع بنفس الطريقة التي تشكلت بها فئات السكان ، بمختلف أديانهم وأصولهم ، – – – ولا يمكنك أن تكشف ما يعتمل في نفس المصريين عن طريق ملامحهم ، فصورة الوجه ليست مرآة لأفكارهم ، فشكلهم الخارجي في كل ظروف حياتهم يكاد يكون هو نفسه ، إذ يحتفظون في ملامحهم بنفس الحيدة وعدم التأثر ، سواء حين تأكلهم الهموم أو يعضهم الندم أو كانوا في سعادة عارمة ، وسواء كانت تحطمهم تقلبات غير منتظرة أو كانت تنهشهم الغيرة والأحقاد ، أو يغلون في داخلهم من الغضب ، أو يتحرقون للانتقام ، فليس ثمة مطلقاً فعل منعكس : إحمرار في الوجه أو شحوب مفاجئ ، يستطيع أن يشي بصراع تلك العواطف العديدة التي تهزهم ، ويمكننا أن نلتمس أسباباً عديدة لهذا الجمود المذهل في الملامح ، قد لا يكون الطقس بعيداً عن هذه الحالة ، – – – ومع ذلك فإن الأسباب الرئيسية لذلك تكمن بالتأكيد في شكل التربية ، وفي الاعتقاد بالقضاء والقدر المنتشر بين كافة الناس ، كما تعود في النهاية إلي تعودهم أن يكونوا علي الدوام عرضة لنزوات الطغاة الذين يعم ظلمهم البلاد ، ففي كل يوم تنشأ أخطاء وبشاعات جديدة ، تصبح الغفلة معها بالنسبة للمصريين – والشرقيين عموماً – نوعاً من الحيلة لمواجهة هذا العسف ، فعندما يُعاقب الإنسان علي حركة أو بسبب نظرة أو أحياناً لمجرد الاشتباه ، كما لو كان ارتكب جريمة ، فإنه يصبح وقد اكتسب مقدرة عميقة علي الاستيعاب والتمثل بحيث تصبح هذه الأمور الجائرة حالات عادية ، لذا فلا ينبغي علينا أن نبحث عن مصدر آخر لأسباب هذا النوع من التسليم المستعذب للألم الذي يميز الشرقيين علي وجه العموم ، فالشكاوي والصيحات أمور لا فائدة منها أمام إرادة الطغاة . ويعرف المصري كيف يمشي وقد أغضبه الألم ، وكيف

يموت تحت عصا القواس دون أن يقول كلمة ، فهذه إرادة الله ، والله أكبر والله غفور ، وتلك فقط هي الكلمات التي تأتي علي لسانه عندما يبلغه نبأ نجاح لم يكن يأمله ، وهي نفسها التي تفلت منه عندما يبلغه نبأ كارثة كبري ألمت به ، ويبدو خمول المصريين الملتصقين بمدنهم أمراً بالغ التناقض مع تقاليدنا ، حتي لنظنهم في البداية بلهاء أو معتوهين ، فتحركاتهم وأحاديثهم وأبسط حركاتهم بل ومسراتهم ، كل ذلك يشي بعدم اكتراث مذهل ، وبرغم ذلك فتحت هذا القناع من السلبية البادية علي ملامحهم يكمن خيال ملتهب ، وسوف يكون من الظلم أن ننكر عليهم كل حساسية ، فعادة الصمت تجعل أحاسيسهم علي العكس – وحيث يمكنهم بذلك تركيزها – أكثر حدة ، كما أنها تعطي لأرواحهم دفعات من النشاط تجعلهم في بعض الأحيان قادرين علي الإتيان بأفعال بالغة الجرأة ، وفضلاً علي ذلك فإن الفكر يكسب بعمق ما كان يمكن أن يفقده لو كانت الروح متوقدة ، إن ملكة الانتباه ، والقدرة علي التذكر تذهب إلي أبعد مدي عند هؤلاء الناس الذين نخالهم غارقين في بلادة مطلقة – – إن كل شئ في هذا الشعب يقدم صورة من التناقض الواضح مع عاداتنا نحن الأوروبيين ، وهذا الاختلاف بلا جدال من صنع الطقس ومن صنع الأنظمة المدنية ، والمعتقدات الدينية كذلك

كما أن غيبة القانون تكاد تشل مختلف ضروب الصناعة ، – – ومن جهة أخري يمكن القول بأن كل فروع الصناعة بلا استثناء فريسة للاستبداد ، وفي نفس الوقت فإن التجارة مزدهرة ، وليس ذلك لأنها تلقي تشجيعاً من الحكومة ، ولكن أن موقع مصر وثراء منتجاتها يهيئان للتجارة معيناً لا ينضب ، وهذه الحرفة هي المجال الوحيد الذي يمكن أن يعد المصري بمستقبل زاهر ، فهي تقوده إلي الثروة في بعض الأحيان ، وهي – في هذا الصدد – الحسنة الوحيدة التي بقيت لهم ، حيث إن صفتهم كمواطنين قد أغلقت أمامهم طرق المجد والمراكز الكبري في وطنهم

انظروا إذن إلي أي حد تضاءل سكان واحدة من أجمل بقاع الأرض تحت هذه السيطرة الأجنبية وغير المشروعة ؟ إن الكوارث التي تنال منهم اليوم سوف تظل تثقل عليهم ، طالما ظلت هذه العصا الغليظة لمستغليهم غير الجديرين تدور عليهم ، ولسوف يظل المصري عبداً بائساً سلبياً خاملاً تدور به دوامات الشك دون أن يفكر في وضعه المحزن ، ولربما تكون بلادته تلك هبة من القدر ، إذ بفضلها لن يعذبه علي الإطلاق ذلك الإحساس بالآلام والمخاطر التي تهدده بلا انقطاع)

الفن والوعي العام :

إذا سلمنا بأن الكثير من المصريين لا يهتمون بالقراءة فكيف يتشكل وعيهم إذن ؟ ومن المسئول عن ذلك ، فهل يمكن أن يكون رجال الدين هم المسئولون عن ذلك ؟

لا أعتقد أن رجال الدين هم المسئولون عن (الغباء الجماعي) ، فجميع الأديان تحث علي اتقان العمل ومساعدة الآخرين والتعاون وكل القيم الجميلة التي تؤدي إلي مجتمع الذكاء الجماعي الذي نتمناه

فهل التعليم هو السبب ؟ ، والتعليم جزء من الغباء الجماعي الذي تكلمنا عنه

فمن الذي يشكل وعي هذا الشعب ؟ ، قد يكون الفن هو أكبر عامل مؤثر في تشكيل الوعي العام ، وأقصد بالفن هنا جميع الأعمال الفنية من مسرحيات وأفلام سينيمائية ودراما ومسلسلات تليفزيونية وربما يمكن إضافة الأغاني والإعلانات أيضاً ، ولا يمكن أن ننكر أن التليفزيون يقوم بنقل كل هذه الأعمال الفنية بعد عرضها سواء في المسارح أو دور السينيما ، أي أن التليفزيون في النهاية هو المصدر الذي يمكن من خلاله مشاهدة كل هذه الأعمال ، ولا ننكر أيضاً دور الفن في التأثير علي المجتمع ، فيكفي أن نعرف أن مسرحية واحدة أفسدت الكثير من الطلبة في المدارس ، بعد عرضها بكثرة حيث زادت نسبة سوء الأدب مع المعلمين بشكل ملحوظ عن النسبة العادية التي كانت موجودة قبل عرض هذه المسرحية ، كما أن مسرحية أخري أفسدت أيضاً الكثير من الأبناء في بيوتهم مع آبائهم وأمهاتهم ، فلم يكن الأبن يجرؤ علي أن يتكلم مع والده أو والدته بتهكم أو سخرية إلا بعد عرض هذه المسرحية كما لو كانت مقررة علي الأبناء ، ولا ندعي أن مستوي الأخلاق قبل المسرحية كان مثالياً ولكن هذا العمل المسرحي أدي إلي نتائج لا يمكن أن ينكرها أحد ، ويمكن القياس أيضاً علي ذلك ببعض الأفلام السينيمائية التي يكون فيها بطل الفيلم لا يتكلم بشكل طبيعي وفي حالة غيبوبة دائمة مثيرة للضحك ويرتدي ملابس لا تليق ، وكل هذا يؤثر علي مرحلة عمرية معينة ، وحدث ولا حرج عن العري والكلمات البذيئة والإيحاءات الجنسية ، والأفكار التي يتم بثها من خلال الدراما التليفزيونية

فهل كل هذا الزخم الفني غير قادر علي تنمية روح الذكاء الجماعي بنفس الدرجة التي نشر فيها سلبيات عديدة لا يزال يعاني منها المجتمع ؟ ، فأنا علي يقين أن الفن والإعلام والقنوات الفضائية ببرامجها الجذابة كل هذا يمكنه أن ينشر ثقافة الذكاء الجماعي في المجتمع ، أما إذا سألت أحد القائمين بهذه الأعمال الفنية عن سر هذه النماذج السيئة التي يطرحها في أعماله ، فسيجيب علي الفور بأن هذه ظاهرة موجودة في المجتمع ولابد من رصدها ، ويأتي السؤال هل الفن مسئول عن رصد كل ما هو سلبي فقط في المجتمع

ونشره لكي يزيد وينمو ويتضخم ؟ أم أن عليه أن يبحث عن كل ما هو جميل في المجتمع ؟ ما هي الرسالة المطلوب أن يقوم بها الفن ، هل الإيجابيات لا تحقق الربح ؟

والربح غير مطلوب لنشر الإيجابيات ومع ذلك قد يتحقق أيضًا ، فهناك دول تستغل الفن في نهضة مجتمعاتهم ، فإذا تأملنا الأعمال الفنية لدولة كبيرة وعظمي مثل الولايات المتحدة الأمريكية سنجد العجب العجاب ، فمعظم الأعمال السينيمائية مثلاً تجعلك تشعر بالانبهار بالمجتمع الأمريكي والحياة علي الطريقة الأمريكية فكل شئ هناك هو الأفضل ، فمثلاً نجد الطفل الأمريكي هو الأكثر ذكاء في هذه الأفلام والجندي الأمريكي هو أشجع وأقوي وأفضل الجنود في العالم والعلماء والعمال والرجال والنساء وكل المجتمع يشعر بالفخر لانتمائه لهذا المجتمع حتي أفلام الخيال العلمي نجد أن أمريكا دائماً تنقذ العالم عندما يتعرض لغزو فضائي خارجي ، فهل لا توجد سلبيات في هذا المجتمع ؟

بالتأكيد توجد كأي مجتمع في العالم ، ولكن لماذا تركز الأعمال الفنية علي عظمة هذه البلاد ؟ لأنهم يريدونها كذلك ، أنت تعرض علي الشعب النموذج الذي تريد أن يكونه ، حتي ولو كان علي خلاف ذلك ، لا ننكر أن هناك أعمال فنية مصرية تناولت عظمة مصر ومعدن هذا الشعب العظيم ولكنها تكاد لا تبدو وسط كل هذه الأعمال التي تشعرك بالإحباط وتنشر كل ما هو سئ وقبيح في المجتمع ، بالرغم من أن شعبنا به من الصفات الرائعة والنماذج الطيبة الكثير والكثير فهو شعب أصيل وقد ظهرت أصالته في العديد والعديد من المواقف علي مر التاريخ ، ومهما حاول البعض تشويهه وتشويه تاريخه فسيظل شعباً عظيماً ، وكل أو معظم ما به من سلبيات ليس مسئول عنها فهي إذا جاز التعبير مجرد سلوك ناتج عن دوافع تدفعه دفعاً إليه ، فكل أفعاله عبارة عن ردود أفعال لأفعال أخري تجعله في معظم الأحيان يتصرف تصرف المحروم الخائف القلق علي مستقبله دائماً وهذه الأوصاف عادةً لا تنتج سلوكيات جيدة

أنا من طرف فلان

وعن الواسطة والمحسوبية وأثرها على المجتمع يوجد مقال علي النت وفيما يلي ملخص ما جاء فيه [١]:

عندما تغيب المبادئ والقيم الأخلاقية، يصبح الممنوع مسموحاً والمحظور مباحاً. وتصبح العلاقات الإنسانية تحكمها المصلحة وسيطرة القوي التي تساعد الكثيرين في مواجهة مواقفهم الحياتية، إلا أنها في المقابل تهدد سلامة المجتمع وتطوره.

---

١ رابط المقال علي النت : -هذا المقال ينشر بالتعاون مع مركز أفق للدراسات والأبحاث
https://www.wattan.net/ar/news/326472.html

فظاهرة الوساطة والمحسوبية تعبر عن واقع مؤلم وهي أكثر أنواع الفساد شيوعاً في الوسط الإداري. فهي جريمة يعاقب عليها القانون لما فيها من اعتداء على حق الآخرين واعتداء على أسس العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، فهي يمكن أن تلغي حقاً او تحقق باطلاً.

فالواسطة والمحسوبية تعرف على أنها شكل من أشكال الفساد الإداري فهي تفضيل الأقارب والأصدقاء الشخصيين بسبب قرابتهم وليس كفاءتهم. فعبارة "أنا من طرف فلان". كأنها الكلمات السرية لفتح المغارة المؤصدة فهذه العبارة تفتح لك الأبواب وتسهل لك الصعوبات.

وقد أصبح الشخص غير المناسب في المكان غير المناسب؛ إذ يسند العمل الوظيفي لشخص لا يستحقه ولا يتناسب مع إمكانياته وخبراته. فتظهر عندنا نتائج تأثيرها سلبي على المؤسسة منها: (إهمال في العمل، أخطاء متكررة، علاقات مكهربة بين الموظفين، ضعف الإنتاج ، وتوجدعدة أسباب تؤدي إلى استخدام (الواسطة والمحسوبية) نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

تحقيق المصالح المتبادلة – تأثير القيم الإجتماعية السائدة (الولاء العائلي / العشائري) – انتشار الفقر والظروف الإجتماعية والإقتصادية الصعبة وبالتالي شُح المصادر اللازمة لخلق فرص عمل – عجز المؤسسات عن تقديم الخدمات المختصة بها، الامر الذي يدفع المواطن إلي البحث عن واسطة للحصول على بعض الخدمات – تكاسل بعض الموظفين عن أداء واجباتهم الوظيفية – انتشار البطالة في صفوف الشباب ، وقد يؤدي كل ما سبق إلي ضياع حقوق الموهوبين من أفراد المجتمع وهجرة العقول والكفاءات وتعزيز حالات الفقر والتهميش في المجتمع وفقدان الثقة في النظام الاجتماعي

ولتفادي حدوث كل ذلك يجب مخافة الله واستشعار مراقبته بالسر والعلن، والتوكل عليه والإيمان بأنه سبحانه واهب الأرازق ، مع الأخذ بالأسباب ، وأيضا المراقبة الذاتية لكل من المراجع والموظف فيما يؤديه من أعمال ، مع التوعية المستمرة بمساوئ الواسطة المذمومة وتوعية المواطنين بأن الأنظمة والتعليمات كفيلة بإنهاء مصالحهم بكل سهولة.

تجاوز الدور في الطابور

عن هذا الموضوع يوجد مقال علي النت[٢] وفيما يلي ملخص ما جاء فيه : كثيرا ما تحدث تشنجات وانفعالات وشد وجذب بين المراجعين، في بعض المؤسسات العامة أو الخاصة نتيجة تجاوز الدور في

[٢] رابط المقال علي النت :
https://alqabas.com/article/5915383-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B3%D8%AA%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D9%86%D8%B8%D8%B1-9-%D8%B7%D8%B9%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D8%A9-5-%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%8A%D9%88

الانتظار وعدم مراعاة شعور الآخرين والتي قد تكون الواسطة أو المحسوبية أو القرابة وغيرها من أسبابها، وقد ينتج عن ذلك الكثير من الانعكاسات السلبية التي تؤثر في سير العمل وتأخير مصالح الناس واحساس بعضهم بالظلم وعدم المساواة. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل تجاوز الدور يُعد سوء إدارة أم سوء سلوك، وما الأسباب والدوافع الى ذلك، وكيف نتخلص من هذه التجاوزات التي كثيرا ما تشل حركة العمل في الكثير من المؤسسات؟ هذا ما سوف نعرفه في هذا المقال : حمّل البعض المجتمع بكامله ما يحدث من تجاوزات وعدم انتظار كل شخص لدوره، وقال: للأسف أصيب الكثيرون بنوع من قصر النظر في هذا الموضوع، فهناك من لا يستطيع الانتظار لدقائق حتى الانتهاء من معاملته، ويعتبر ان 'برستيجه' الاجتماعي قد تحطم وكأن موضوع التجاوز أمر طبيعي، ولا يدرك ان احترام الشخص مهما كانت قيمته الاجتماعية لمن هم أقل منه فيه قيمة انسانية واحترام للذات.

وأشار الى ان التجاوزات اصبحت ثقافة اجتماعية، ويبقى التخلص منها مسؤولية المجتمع ككل، وليست مسؤولية فرد، لأنها كالمرض المستشري الذي يصعب علاجه ويحتاج الى بتر حقيقي.

بينما يري آخرون ان عدم احترام الدور ومراعاة شعور الآخرين، يعود الى سوء الإدارة والفساد الاداري الذي تفشى في قطاع الخدمات والمؤسسات التي تتعامل مع الجمهور، وان ادارة أي مؤسسة هي التي تحدد دائما طبيعة العمل وخط سيره، واذا أرادت ان تطبق القانون على الجميع فلن يمنعها أحد لكونه مطلبا اساسيا من الجميع الا ان تدخل كثير من المسؤولين في سير العمل حسب اهوائهم هو الذي يفسد ولا يصلح ويسبب تعطيل مصالح الناس من دون مبرر، فلابد من اصلاح الادارة أولا.

وهناك رأي يقول ان البيئة الاجتماعية هي التي تولد هذه الثقافة التي لا تراعي حقوق الآخرين ولا تضع اعتبارا للقوانين فهناك من يعتبر نفسه مالكا لكل شيء من حوله من خلال نفوذه في هذه المؤسسة أو تلك ولا يدرك تأثير ذلك في نفوس الآخرين المُصطّفين في الدور لأن تنشأته لم تأخذ في الاعتبار تأصيل هذه القيم في نفسه التي تؤصل بدورها القيم الانسانية الرائعة، ولابد من تأهيل الموظفين باستمرار من أجل تطويرهم وتوعيتهم بان التعاطف مع الناس لا ينبغي ان يكون على حساب الآخرين.

والثقافة العامة للانسان تلعب دورا مهما في احترامه للآخرين لأن الدور هو حق لصاحبه والتصدي له يعد سلبا له، واعتداء على حقوق الآخرين. فمن الضروري خلق وعي عام تجاه هذه القضية التي تؤثر في التنمية الادارية والاقتصادية في العالم العربي بشكل عام ، وعلاجها يجب أن يجري من خلال المناهج

والتعليم حتى يصبح التعدي على الدور أمرا شاذا وغير مقبول من الجميع، خصوصا انه يسبب كثيرا من المشاكل.

بل ان بعض الذين يعتدون على دور الآخرين ويكسرون النظام يعتبرون ذلك نوعا من الوجاهة الاجتماعية من دون مراعاة ظروف الآخرين. كما ان علينا ان نعترف أولا ان هناك الكثير من ضعف القيم الاجتماعية والانسانية في ظل الزخم الذي يغير نمط الحياة من ساعة الى أخرى أمام أعيننا ولا عجب اذا وجدنا مثل هذه التجاوزات لأننا لم نرتكز في تطورنا وتقدمنا على احترام حقوق الآخرين ولا نعاقب عليها سواء من خلال القوانين أو حتى من خلال المجتمع، ويجب عمل دراسة تكشف أوجه الخلل في هذا السلوك وتضع علاجا شافيا كافيا له.

فاحترام الدور يعود الى حضارية السلوك الانساني وثقافته، فكلما تقدمت الحضارة زاد الاحترام وحفظ حقوق الانسان، وهذا لا يعني ان كل من يمتلكون شهادات جامعية متحضرين لأن من بينهم من تكون سلوكياته غير سوية، فهو لا يحترم الآخرين، وفي المقابل هناك أناس أميون لديهم وعي حضاري مذهل لأن المجتمع هو الذي يعلم، ووسائل الإعلام المختلفة لها دور كبير في غرس هذا الوعي منذ الصغر، فضلا عن ان البيئة تلعب دورا مهما في تشكيل السلوك العام للفرد، لا سيما ان احترام الدور هو أحد جوانب السلوك الحضاري لأن فيه احتراما لحقوق الاخرين، والاعتداء على حقوق الآخرين في الانتظار يصيبهم بألم نفسي ويجعلهم أكثر عرضة للانفعالات النفسية.

عاطفيون

ربما أهم ما يميز المصريين أنهم شعب عاطفي إلي أبعد الحدود ، فلا يجب أن تسأل المصري عن رأيه في موضوع ما أو في شخص ما ولكن يمكنك أن تسأله عن مشاعره تجاه هذا الموضوع أو ذلك الشخص ، فالمصري لا يؤيد ولا يعارض ولكنه يحب ويكره فإذا أحب نسي أو تناسي أي إساءة ممن يحب ، والعاطفة قد تكون مشكلة كبيرة جداً في بعض المجتمعات فهي قد تضع شخص في غير مكانه الصحيح وقد تزيح أيضاً شخص من المكان الذي يناسبه فلا مكان هنا للقياس المنطقي بل المشاعر وحدها هي التي تتحكم وتأمر بل لا أريد أن أبالغ وأقول أن العاطفة قد تطيح أيضاً بالفطرة السوية

في رأيك هل من الممكن أن ينعم شعب عاطفي بممارسة الديموقراطية ؟

فإذا فكر مجتمع عاطفي في ممارسة الحياة السياسية علي الطريقة الديموقراطية فإن الأحزاب التي سيشكلها المجتمع ستتلخص في أشخاص فهذا حزب فلان وهذا حزب علان فاجتماع الناس لن يكون حول

مبادئ للحزب بل حول شخص يحبونه فنحن كما يقول الدكتور جمال حمدان في كتابه الممتع شخصية مصر ألفنا أن نكون رعايا لا مواطنين ، فنحن نحب الشخص الذي نثق به ونلتف حوله وترنوا إليه أبصارنا وتتعلق به آمالنا وقلوبنا وننتظر توجيهاته لنفعل أشياء نستطيع أن نفعلها بدون توجيهات ولكننا دائماً نحتاجها ونحتاجه

وهذا يذكرنا بالبيئة الفيضية والمبادرة من أعلي والشخصيات البارزة

نعم وقد يحب الشعب المصري بعض ظالميه من الحكام لأنه شعب ودود وعاطفي ويتأثر بطول العشرة حتي مع من يسئ إليه

بعض مما كُتِب عن المصريين

خصائص الشخصية المصرية :

وقد أورد أيضاً الدكتور جمال حمدان في كتابه الممتع شخصية مصر قائمة بخصائص الشخصية المصرية وذكر أنها (– – قائمة مربكة بقدر ما هي مقلقة فادحة ، ولكن بصفة عامة علي أية حال فلعل هناك شبه اتفاق علي بعض خصائص أساسية تعد أركان أو أقطاب تلك الشخصية ، أولها دائماً التدين ، وثانيها حتماً المحافظة ، وثالثها باستمرار الاعتدال ، ورابعها غالباً الواقعية ، وخامسها أحياناً السلبية ، وبهذا الشكل تبدو السلسلة كمتوالية تنازلية إلي حد ما ، تتدرج نسبياً من الموجب إلي السالب أو من القوة إلي الضعف ، وبذا أيضاً تتابع منطقياً فيما بينها ، بحيث تؤدي كل واحدة منها إلي تاليتها ، التي تترتب بدورها علي كل سابقاتها ، وفيما عدا هذا ، فلأن خاصية الاعتدال بالذات تمثل نقطة الوسط والارتكاز بين تلك الخصائص والنواة النووية في قلبها ، فلعل لنا من قبيل اليسر والتبسيط الأكاديمي أن نتخذ منها المظلة الجامعة والعنوان الرئيسي العريض الشامل لها جميعاً

فأما التدين إذا أردنا تفصيل ما أجملنا ، فسمة مصرية أصيلة وقديمة قدم الأديان ، بل سابقة هي للأديان ، ولعلها هي التي منحت المصري قوة داخلية ومقاومة خارجية وصلابة غير عادية ضد الكثير من الأخطار والمحن والمآسي التي تعرض لها عبر التاريخ ، سياسية كانت أو إجتماعية ، خارجية أو داخلية ، من استعمار الغزاة أو قهر الطغاة ، غير أن هذه الخاصية –يخشي البعض– كانت أيضاً مهرباً إلي حد ما من الصدام مع تلك الأخطار والتحديات ، ومن ثم قد في النهاية تفضي بنا إلي خاصية السلبية وتؤكد تشخيصها ،

ومهما يكن ، فإن التدين والنزوع الديني إذا جاز أن يرد في دوافعه إلي الزراعة طبيعة الحضارة الزراعية ، علي الأقل جزئياً ، فلعله أن يكون بدوره دافعاً جزئياً مثلها ويجانبها إلي الصبر والدأب والجلد والتحمل ، وهي الصفات التي تبدو عريقة القدم والجذور في التاريخ المصري ، ويكاد يجمع الكل بلا تردد علي إلتصاقها الشديد بالانسان المصري عامة والفلاح المصري خاصة

أما المحافظة ، بل والمحافظة الشديدة كما يشدد العقاد ، فتعني أن المصري مقيم علي القديم والتراث والتقاليد والموروثات ، ولا يقبل الجديد بسهولة ، وهذا يعني بدوره أنه تقليدي مقلد ، غير ثوري غير مجدد ، بل إنه –عند العقاد أيضاً– إذا ثار علي الإطلاق فإنما ليحافظ علي القديم والموروث ، أي أنه – للغرابة والدهشة ، وبصيغة نقيض النقيض – ثوري من أجل المحافظة

ومن المحافظة وعدم الثورية ، علي أية حال خطوة قصيرة ومنطقية إلي الاستقرار ، فالاستقرار نتيجة المحافظة ولكنه بالمقابل يعود فيدعمها ، ومن هذه الحلقة المفرغة أو اللولب الصاعد يتحقق الاستمرار إلي أبعد حد وينتفي التغير إلي حد بعيد ، وهكذا تنتهي الدائرة مرة أخري لتعود بنا حيث بدأنا بالمحافظة علي القديم وعدم التجديد ، ، إلخ

وإذا كان ثمة من مصل مضاد نوعاً لهذه المحافظة المستمرة أو الاستمرار في المحافظة ، المستمرة أو الاستمرارية في المحافظة ، فهو الاعتدال ، وإن كان هذا نفسه غير بعيد عن المحافظة ، إن لم يكن حقاً امتداداً مباشراً لها ، فالاعتدال المغروس المركوز في طبيعة المصري ، أياً كان أصله ، فيبتعد به عن التطرف الشديد يميناً ويساراً ، يبتعد به ضمناً وديالكتيكياً ولحسن الحظ عن التطرف في المحافظة ، بذلك يوفر له هامشاً معقولاً من المرونة والتلاؤم والتغيير والحيوية ، التي تضمن له علي أقل تقدير القدرة علي التطور البطئ ، التطور خطوة خطوة بالجرعات الصغيرة ، وبالتالي تضمن له البقاء الطويل علي المدي البعيد

وأخيراً وبحكم الاعتدال كان المصري العادي أو المتوسط أميل في الغالب إلي الوداعة والهدوء والدماثة والبشاشة ، وإلي الشخصية الاجتماعية الودود ، السلسة السهلة المنطلقة extrovert غير المنغلقة أو المعقدة ، كما كان أجنح إلي التعاون منه إلي التنافس ، وفي الوقت نفسه أبعد شئ عن العنف والقسوة والدموية والمزاج الحمراوي الدموي

ومن الاعتدال بعد هذا نقلة لا شك قصيرة ومباشرة إلي الواقعية ، فالانسان المصري رجل عملي ، علمته البيئة والتجربة ، أي الجغرافيا والتاريخ ، احترام الواقع والالتصاق به وعدم الانفصال عنه أو التناقض معه

، فهو إلا في القليل النادر لا يهرب من الواقع سواء بالتدين المفرط (الدروشة) أو بأحلام اليقظة والتمني المجنحة (الغيبيات) أكثر كثيراً مما يتصادم معه ويتحداه ، وهو من ثم مطيع بالضرورة ، أكثر مما هو متمرد بالطبع ، فإذا ما عجز عن تغيير الواقع فإنه في العادة أو في النهاية يخضع له ويرضخ للأمر الواقع ، إلا أنه حينئذ قد يسخر منه للتعويض والتنفيس

من هنا تأتي شهرته الداوية في السخرية التعويضية والتعويض بالتعريض بالواقع دون التعرض له ، وهو بدوره التناقض الخفيف الذي أفضي به في نظر البعض إلي الشخصية الفهلوية **smart** التي تعوض عن عجزها العملي بالتذاكي المفرط **smartig** واصطناع اللامبالاة أو إدعاء الحلم والتخفي وراء العقل والتعقل ، والنموذج المثالي أو التقليدي في ذلك هو علاقة الفلاح المصري بالسلطة والحكومة ، فهو يكرهها ويخشاها منذ قال الجبرتي (والمصري يكره الحكام في كل صورة حتي أدناها) إلي أن حدد العقاد علاقته بالحكومة كعلاقة عداوة مريبة ، لكنه مع ذلك يقبل بها وقد يتملقها ، إلا أنه حتماً يسخر منها ويتندر بها سراً وعلناً

ولقد يعود بنا هذا السلوك أو التصرف الواقعي إلي صفة الاعتدال كنوع من الإفراط في العقل ، إلا أنه أدعي وأفضي إلي السلبية كالنتج النهائي لكل الخصائص السابقة وكالحلقة الأخيرة في سلسلتها المترابطة المتداعية ، فالمحصلة النهائية لتلك المتوالية التنازلية من التدين إلي المحافظة إلي الاعتدال إلي الواقعية إنما هي منطقياً شخصية سلبية نوعاً أكثر منها إيجابية جداً

فهو –المصري العادي أو المتوسط– في الأعم الأغلب وفي أغلب الآراء يتجنب الصدام ويتحاشاه لاسيما في المواقف العدائية وبالتالي يؤثر السلامة علي المواجهة والسلام علي الصراع – – – –

تلك في عجالة سريعة مقتضبة ولكنها مركزة الخصائص الرئيسية الخمس التي تميز الشخصية المصرية في أغلب الآراء ، وإن جادل أو عدل البعض في بعضها أو كلها بدرجات متفاوتة ، ثم اختلفوا أكثر في تقييمها وتأويلها سلباً أو إيجاباً وقوة أو ضعفاً ، بحيث سنجد دائماً في الحساب الختامي الرأي المضاد والحكم ونقيضه وفي النهاية الصورة الوردية والصورة القاتمة)[٣] ، هذا ما كتبه د جمال حمدان وننتقل الآن إلي ما كتبه العقاد عن طبيعة المصري

[٣] نقلاً عن كتاب شخصية مصر للدكتور جمال حمدان

الطبيعة المصرية في أوهام الناس طبقاً لما كتب الأستاذ العقاد :

طبيعة المصري موضع دراسات كثيرة جنسية ونفسية واجتماعية وسياسية يقوم كثير منها علي الإشاعة والغرض وقليل منها علي التحقيق والإنصاف ، وليس ذلك لغموض أو تعقيد فيها فإن هذه الطبيعة واضحة سهلة ليس في الأمم العريقة كافة –فيما نعتقد– أمة أوضح منها وأسلس ولكنها قد احتجبت طويلاً لما أحاط بها من أقاويل الأمم المنافسة لها أو الموتورة منها ، وقد طال عهد مصر بمراس المنافسين والجيران الموتورين وطال إعراضها عما يصمونها به ويفترونه عليها ، حتي وقر في الأذهان وأصبح التعرض له بالتفنيد والتصحيح كالتعرض للحقائق المقررة والوقائع المكررة تبدو عليه شبهة الغرض والمحاباة من حيث لا تبدو علي تلك الأقاويل المفتراة ، ونحن نرجع إلي الصفات الكثيرة التي تواترت بها أقاويل الأمم الناقمة أو الأمم الحاسدة فنستعرضها صفة صفة ونحاول أن نجد فيها ما يقنع السامع أو ينفي عنه الشك والتردد فلا نجد بينها صفة واحدة تطرق الأذهان من ناحية الإقناع ، ولا نعجب لشئ عجبنا من سرعة الأكاذيب في النفاذ إلي الآذان وسرعة الأوهام بعد ذلك في الاستقرار بالأخلاد حتي إذا جاء دور التفنيد والتصحيح كان العجب الأكبر أن تلك الأخلاد التي استقبلت الأوهام بالإذعان والاستسلام تنقلب فجأة من السلاسة والهوادة إلي التصعب والتشدد في وجه الحقيقة ، كأنما الأوهام صديق مسالم ينزل بها نزول النصير المأمون الجوانب المحمود العواقب ، أما الحقيقة فهي عدو مهاجم يدك الحصون ويبدل المعالم ولا يطرق العقول أبداً دون أن تلتفت له وتثور عليه ،

ورأس الأكاذيب علي الطبيعة المصرية أنها طبيعة أمة لا تحكم نفسها بنفسها ولا تبال غارة الأجنبي عليها ، فمن من أعداء المصريين يشك في هذه الأكذوبة ؟ أو يكلف نفسه وهو يقذفهم بها أن يضاهي بينهم وبين غيرهم ليعلم مقدار الشبه في هذه الخلة بينهم وبين أبناء الأمم الأخري ؟

علي أنها كما قلنا رأس الأكاذيب وأيسرها تفنيداً عند النظر القريب فضلاً عن النظر البعيد ،

فليس شأن المصريين في هذه الخلة بمخالف لشأن الأمم كافة في العصور القديمة إذ هي كلها مزيج من غالب ومغلوب وأصلاء وغرباء ، لا تدري من أحقهم بوصف الوطني ومن أحقهم بوصف الدخيل ، إذا مضي عليهم جيلان أو بضعة أجيال ، ولقد كانت هذه الأمم جميعاً لا تبالي من يحكمها من أبناء البلاد أو غير أبناء البلاد ، لأنها كانت منهوبة مظلومة علي كلتا الحالتين ، وكانت تطيق الحاكم حتي يجاوز بها حد الطاقة فتثور عليه وتمالئ أعداءه - - - وقد أبطأت الإنسانية طويلاً قبل أن تخترع الديمقراطية أو الفكرة

الوطنية ، وقد أصيبت جميع الأمم بما أصيب به المصريون من جراء هذا الإبطاء الذي لا ذنب فيه علي أحد ٤

ما سبق كانت رؤية العقاد لطبيعة الأمة المصرية ، وإليك ما كتبه جمال بدوي عن أكذوبة الاستبداد الشرقي ، ولعلك عزيزي القارئ تحاول المقارنة بين ما كتبه علماء الحملة الفرنسية وما كتبه جمال حمدان والعقاد وجمال بدوي مع حفظ الألقاب وتحاول أن تكون بنفسك فكرة عامة عن طبيعة هذا الشعب وطبيعة من حكموه والظروف التي مر بها علي مر التاريخ

أكذوبة الاستبداد الشرقي :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ جمال بدوي في كتابه الممتع (في محراب الفكر) ما ملخصه :

هل صحيح أن الطغيان داء شرقي متوطن مثل البلهارسيا والانكلستوما ، وأن شعوب الشرق علي خلاف الشعوب الأوروبية يتقبلون الطغيان بدون شكوي أو تذمر لأنهم – في رأي أرسطو – مهيئون بطبيعتهم لأن يكونوا عبيداً ، وأن الرق بالنسبة لهم نافع بقدر ما هو عادل ، إن هذه المقولات التي أطلقها أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد جرت مجري الحقيقة المؤكدة لدي فلاسفة الفكر السياسي حتي مشارف العصر الحديث والأعجب أن تري أصداءها علي ألسنة مفكري الديموقراطية المحدثين مثل مونتسكيو الذي انتهي إلي أن الاستبداد نظام طبيعي بالنسبة للشرق لكنه غريب وخطر علي الغرب ، وأن الحكومة المعتدلة هي أصلح ما يكون للعالم المسيحي الغربي بينما الحكومة المستبدة هي أصلح ما يكون للعالم الإسلامي ، وبذلك انشطر العالم في نظر فلاسفة الغرب إلي قسمين ، قسم شرقي مهيأ بحكم طبيعته لأن يحكم حكماً استبدادياً لأنه في مرتبة الحيوانات أو العبيد ، وقسم غربي له أنظمة سياسية خاصة تجعل طبيعة الاستبداد أمراً صعباً ، فإلي أي مدي يمكن قبول هذه الأقوال التي انتقلت إلينا عبر المؤثرات الثقافية التي جعلت منها مسلمات لا تقبل النقض أو النقد واستقبلتها تربيتنا العقلية عن رضا دون إدراك لمخاطرها علي وجودنا الإنساني وما تزرعه في نفوسنا من يأس وإحباط واستسلام إلي الواقع واعتبار الاستبداد قدراً مقدوراً لا فكاك منه شأن العلل الوراثية

نحن الشرقيين لا ننكر أن مجتمعاتنا القديمة عانت في بعض مراحلها التاريخية من حكم الطغيان ولكن من قال إن الشعوب الأوروبية في عهودها القديمة والوسيطة والحديثة أيضاً لم تتعرض لحكم الطغيان ؟ ولم تعان من القهر والاستبداد مثلما عانينا ؟ إن الحقيقة العلمية والتاريخية تشهد بأن الطغيان داء إنساني

٤ من مقدمة كتاب (سعد زغلول – سيرة وتحية) بقلم عباس محمود العقاد

يفرض نفسه عندما تتهيأ له ظروف تاريخية معينة ، مثل الأنفلونزا تصيب الإنسان إذا تعرض لتيارات الهواء بصرف النظر عن كونه مصرياً أو ألمانياً أو استرالياً وليس من الحقائق العلمية في شئ أن يكون الطغيان حكراً علي الشعوب الشرقية (المتخلفة) وأن تبرأ منه الشعوب البيضاء (المتحضرة) لأن الحضارة الغربية في قمة ازدهارها لم تمنع ظهور أشد طغاة العصر الحديث من أمثال هتلر وموسيليني وستالين وسالازار ، ولكنها النظرة العنصرية الخبيثة التي صاغت الفكر الأوروبي منذ عصر أفلاطون وأرسطو حتي عصر هيجل وماركس

نعم نحن نعترف بأن الطغيان في الشرق أقدم منه في الغرب لسبب تاريخي لا دخل لنا فيه وهو أن الشرق أقدم وأعرق وأسبق

ففي مصر قامت أول حكومة مركزية في التاريخ بينما كانت الجزر اليونانية في طور الطفولة فكان من الطبيعي أن تعرف مصر الأنظمة السياسية وأن تنحرف هذه الأنظمة إلي ممارسة الطغيان ، فلما بلغت المدن اليونانية مرحلة البلوغ والنضج تطورت أنظمتها السياسية وسري عليها ما سري علي دول الشرق ، وعرفت اليونان الطغيان مثلما عرفته مصر ظهر فيها ما يعرف في التاريخ باسم عصر طغاة الإغريق الذي يبدأ باعتلاء الطاغية كبسليوس عرش مدينة كورنثة عام ٦٥٠ قبل الميلاد وخلال قرن ونصف قرن من الزمان اكتوت المدن اليونانية بنار نخبة من عتاة الطغاة ، بل إن فقهاء اللغة يعودون بلفظ طاغية إلي جذور إغريقية - - ومعني ذلك أن اليونان التي تزهو علي العالم بأنها مهد الديمقراطية لم تسلم من جحيم الطغيان شأنها في ذلك شأن مصر وغيرها من بلاد الحضارات القديمة وظهر فيها جيل من الطغاة قبل ثلاثة قرون من ظهور أرسطو الذي دفعه التعصب العنصري إلي جعل الطغيان صناعة شرقية بحتة ، وسار علي دربه المؤرخون الذين كتبوا عن الإسكندر الأكبر تلميذ أرسطو فقالوا إنه لم يكتسب صفة الطغيان إلا بعد أن جاء الشرق فرضع الطغيان من منابعه الأصلية وزعموا أن الفاتح المقدوني ظل يتمادي في طغيانه حتي جعل من نفسه إلهاً متأثراً بفكرة تأليه الحاكم في مصر ونسي هؤلاء المؤرخون أن فكرة تأليه الاسكندر نشأت معه منذ ولادته وأن أمه أوليمبياس غرست في عقله أنه ليس ابن فيليب المقدوني ولكنه ابن الإله زيوس كبير آلهة اليونان ، فلما جاء الإسكندر إلي مصر فاتحاً وقع في حبائل كهنة آمون الذين خدعوه وأفهموه أنه ابن الإله أمون - - -

الدكتور جمال حمدان في كتابه الجليل شخصية مصر في البداية لم ينكر أن الطغيان أو الاستبداد هو النغمة الحزينة في تاريخ مصر وأسوأ خط في دراما الشعب المصري ولكنه لا يلبث أن يتساءل هل هذا يعبر

عن حقيقة شخصية مصر الاجتماعية الكامنة ؟ أهو يعني صفة موروثة أم مكتسبة خالدة أم عارضة ؟ ثم هل تنفرد به مصر أم يشاركها فيه غيرها ؟

ويجيب الدكتور جمال حمدان بأن ظاهرة الطغيان التعسة لم تقتصر علي مصر لا انفردت مصر بها سواء في الماضي البعيد أو القريب فإن الإمبراطوريات الاستبدادية في التاريخ القديم تفوق الحصر : بابل وآشور وفارس وفينيقيا ، الهند والصين وكل حضارات العالم الجديد ، إلخ ، أما اليونان وروما التي جعل البعض منها أسطورة الديمقراطية ومنبع الحرية فقد كانت علي العكس تماماً مثالاً بشعاً للاستبداد والظلم والتعذيب بل كانت مجتمعات العبودية الكلاسيكية وفي الإمبراطورية الرومانية بالذات كان الإمبراطور الطاغية – قيصر – يؤله كفرعون في مصر ولم يكن أقل منه طغياناً وبطشاً أما أوروبا في العصور الوسطي فقد كان المجتمع الإقطاعي نظاماً استبدادياً سافراً وكان الفلاح الأوروبي قناً يعني عبدا ، - - أي أن الرجل الأوروبي كان أسوأ حالاً وحظاً من الإنسان المصري سواء في العصور القديمة أو الوسطي وحتي بالنسبة للرقيق الذي لم ينتشر في مصر نسبياً مثلما انتشر بأوروبا فقد كان يعامل برفق نوعاً إذا ما قيس بنظيره الأوروبي

ويري د جمال حمدان أن الاستبداد أو الطغيان حقيقة عرفتها معظم البلاد في معظم العصور علي اختلاف بيئاتها والفروق بين البشر أقل بكثير من التشابه الأساسي بل لقد كان تاريخ العالم حتي وقت قريب هو في الواقع الحكم المطلق والاستبداد بصورة أو بأخري وأن ما عرفته مصر في أغلب تاريخها من الطغيان إنما كان للأسف روح العصر وليس لحسن الحظ روح المكان وهو إذا كان قد طال في مصر بعد أن كان صفي في أوروبا مثلاً لعدة قرون فذلك بفعل الاستعمار الدخيل الآتي من أوروبا نفسها[5] .

وبعد أن استعرضنا بعض ما كُتِب عن الشعب المصري ومن وجهات نظر مختلفة ابتداء من علماء الحملة الفرنسية ثم د جمال حمدان والأستاذ العقاد والأستاذ جمال بدوي ، بقي لنا أن نلقي نظرة علي ما كتبه المؤرخ البريطاني ستانلي لين بول[6] في كتابه الممتع سيرة القاهرة حتي تزداد الصورة وضوحاً

---

[5] نقلاً عن كتاب في محراب الفكر لجمال بدوي

[6] ولد المؤرخ والرحالة البريطاني ستانلي لينبول في مدينة لندن في الثامن عشر من شهر ديسمير سنة ١٨٥٤ ودرس في جامعة أكسفورد وجامعة دبلن وبدأ حياته العملية كمؤرخ وباحث في الآثار ، وقد زار مصر أكثر من مرة وعمل بها وله مؤلفات عديدة تتناول تاريخها وتوج في سنة ١٩٠٢ سلسلة مؤلفاته في تاريخ مصر بكتاب (سيرة القاهرة) أو تاريخ القاهرة The Story of Cairo والذي قام بترجمته كل من د حسن إبراهيم حسن و د علي إبراهيم حسن وإدوار حليم وفي هذا الكتاب وصف رائع للعاصمة المصرية

المؤرخ ستانلي لين بول ووصفه الممتع لاحتفال المصريين بمولد سيدنا الحسين سنة ١٨٨٢ م :

حيث كتب ما ملخصه : ومهما يقال عنا معشر الإنجليز من أننا نكون مكتئبين علي الدوام أثناء لهونا ، فإنه حتي ذلك الجمهور الذي اعتاد أن يشاهد مسرحيات إبسن سوف يقف مدهوشاً أمام تلك الاحتفالات الإسلامية ، فعلي حين لا توحي أعيادنا الدينية بأي مرح للرجل الإنجليزي العابس ، تجد الرجل القاهري يتمتع بأعياده الدينية إلي أقصي الحدود بالطريقة الرزينة الهادئة المعروفة ، وتلك الأعياد جد كثيرة ، والمولد في القاهرة ليس احتفالاً يستغرق يوماً واحداً وإنما قد يمتد في بعض الأحيان إلي تسعة أيام ، وكل سائح زار القاهرة لابد أن يعرف بعض هذه الأعياد ، من ذلك الاحتفال بالكسوة الشريفة ومرور المحمل بقافلة الحجاج إلي مكة ، هذه المشاهد جديرة بأن يراها كل منا ، إذا تصادف وقوعها في موسم السياحة ، فالسنة الهجرية لا تزال تسير وفقاً للتقويم الذي يعتمد علي القمر ، فهذا التقويم من شأنه أن يتغير فيغير معه الأعياد كلما دار الفلك دورته ، والواقع أنه قد يندر أن يمر أسبوع واحد دون أن يكون هناك عيد أو احتفال ، - - - والحسين مما لا شك فيه ينال حقاً من الاحترام والتبجيل في القاهرة ، والاحتفال بمولده من المشاهد التي يسر لها السائح الأوروبي كثيراً ، فليس هناك في الواقع أبهج ولا أروع من تلك المناظر التي نشاهدها في شوارع القاهرة وأسواقها في ليلة الحسين الكبري ،

والشئ الغريب حقاً أنه في إحدي ليالي الشتاء وبعد موقعة التل الكبير ، حينما كنت واقفاً –لأن الركوب كان إذ ذاك متعذراً– وسط جمع محتشد غفير في شارع الموسكي ، وجاهدت لأشق طريقي إلي ذلك الزقاق الذي يؤدي إلي بيت القاضي ومسجد الحسين ، أقول إنه من الغريب حقاً أنني لم ألاحظ هناك أية روح سيئة أو تعصب ، علي الرغم من وجود كثير من الأوروبيين الذين كانوا يجتالون في الطرقات البهيجة المزدانة بالأنوار في ليلة عيد ، ولكنك بدلاً من هذا كنت تجد النساء الإنجليزيات يتخللن الأسواق ، والضباط الإنجليز والسائحين يختلطون بالجمهور ، بل إنهم بلغوا في بعض الأحيان أبواب الجامع المقدس نفسه دون أن يمسهم أحد أو يبدي لهم أدني مضايقة بل أقل ملاحظة ، وفي بعض الأحيان قد تشاهد سيدة مصرية وهي تدعو بعض الأجانب وتطلب منه أن يصلي علي النبي وقد تذهل السيدة المصرية حينما يجيبها بقوله اللهم صل عليه ، علي أنه إذا لم يعرف ذلك الأجنبي كيف يجيب عن مثل هذه الأسئلة إجابة صحيحة ، فلن ينتج عن ذلك ضرر علي الإطلاق ، فإن طيبة القلب والطبيعة السمحة التي توحي بها مثل تلك الأعياد مما ينسي ذكري الحرب ، ومن المؤكد أنه لا يمكن أن يكون هناك جمهور إنجليزي يعتمد عليه

ويوثق به يستطيع أن يسلك مثل هذا المسلك البديع مع وجود أقلية غير مرغوب فيها معه ، ولما انحرفت في أحد أزقة خان الخليلي الكبير كان ذلك المنظر يشبه إحدي صور ألف ليلة وليلة ، وإذا خرجنا من الخان وجدنا أناساً كثيرين يتدفقون إلي جامع الحسين ، وعلي قيد بضع خطوات نري بعض الرجال يدخلون إحدي الخيام وأحد المهرجين وهو يقوم بالتقليد في صورة تبعث علي المرح وفي سرادق آخر نجد القراجوز فنجد أفراداً قد أخذهم المرح حتي لتكاد جوانبهم تنفجر من كثرة الضحك ، وهم مهما رأوا ، وأينما ساروا ، ومهما قابلوا ، من الناس ومهما يكن فقرهم وهمومهم الخاصة كل ذلك لا يمكن أن ينال من طبيعتهم المرحة في ليلة الحسين المباركة ، ولعل أول ما يتميز به الجمهور المصري أنه يمكن تسليته في سهولة تامة ، فإن أبسط المناظر وأقدم النكات تبعث فيه المرح والسرور[٧] ، ويكفي أن تجعل الأوروبي المدقق يأسف علي ضبطه نفسه ليري كيف أن هؤلاء البسطاء يدخل المرح قلوبهم من أقل شئ[٨]

دروس وعبر من التاريخ

أخلاق الدول تختلف عن أخلاق الأفراد

من يقرأ العديد من الكتب ومن بينها كتب التاريخ يتعلم منها عبر ودروس تفيد في فهم العديد من الأمور ومن أهم الدروس أن أخلاق الدول تختلف عن أخلاق الأفراد

أي أن الضوابط والقيم والمبادئ التي يلتزم بها الأفراد في علاقاتهم لا تلتزم بها الدول في علاقاتها كالصدق والأمانة والإيثار والتعاون والشفافية وكل الأخلاق الحميدة ، تستبدلها الدول بمبدأ واحد فقط هو المصلحة ، فالمصالح وحدها هي التي تحكم العلاقات بين الدول ولا مكان للأخلاق ، فالأمن القومي لأي دولة له الأولوية الأولي في التعامل مع باقي الدول فقد تخادع وتمكر وتجند العملاء بل وقد تعلن الحرب أيضاً للحفاظ علي كيانها وأمنها ومصالحها

ومن دروس التاريخ أيضًا أنه كي تعيش بعض الشعوب في رفاهية ورخاء لابد أن تعيش شعوب أخري في بؤس وفقر ، ولكي تنعم بالحرية لابد أن تعاني شعوب أخري من القمع والعبودية

[٧] قد يكون ما كتبه المؤرخ ستانلي لين بول صحيحاً إلي درجة كبيرة بل وقد يكون مستمر حتي الآن فالكثيرين من هذا الشعب يتميزون بروح الدعابة ومن السهل تسليتهم ولا أدري هل هذا الوصف يعتبر من المزايا أم من العيوب فقد يمكن لأي حاكم إذا أراد أن يستغل ذلك بسوء نية فيشغل الشعب عن قضاياه الأساسية بأمور ثانوية يظل يدور في فلكها دون أن يشعر بما هو فيه مثل مباريات كرة القدم أو الأعمال الفنية والمهرجانات والاحتفالات وغيرها

[٨] نقلاً باختصار عن كتاب سيرة القاهرة تأليف ستانلي لين بول – ترجمة د حسن إبراهيم حسن ، د علي إبراهيم حسن ، إدوار حليم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة طبعة ١٩٩٧

وهذه النقطة تحتاج إلي بعض التوضيح إذ ما الذي يمنع أن تعيش بعض الشعوب في رفاهية وحرية دون قهر وإذلال شعوب أخري ، ولتوضيح ذلك يجب أن نفهم أن الدول الكبري تقوم باستنزاف ثروات الدول الضعيفة واستغلال إمكانياتها وقد أخذ هذا الاستغلال أشكال عديدة فكانت قديماً تقام إمبراطوريات ضخمة تسيطر علي العديد من الشعوب وتسومها سوء العذاب وتُسخّر طاقاتها لخدمة مصالحها ثم تطور هذا الاستغلال ليصبح ما يسمي بالاستعمار ثم الامتيازات الأجنبية أما حالياً فقد أصبحت الدول الضعيفة سوق لمنتجات الدول الكبري ومعمل تجارب لأسلحتها وفئران تجارب لأدويتها ومدفن لنفاياتها ، ومكان لإقامة المصانع الملوِثة للبيئة والتي لا تسمح الدول الكبري بإقامتها علي أراضيها وقد يصل الأمر إلي استغلال الفاسدين للإتجار بالأعضاء البشرية وغير ذلك من أساليب الاستغلال القذرة

فبعض الدول الضعيفة بها شعوب مغلوبة علي أمرها وتخضع لأنظمة حاكمة تسلبها إرادتها وتشغلها بمشاكل الحياة وأمور أخري وتحرص علي عدم الاهتمام بالتعليم وعلي عدم نشر الوعي بالإضافة إلي الإعلام الموجه الذي يحذر الشعوب دائماً من المؤامرات الخارجية التي تستهدف الوطن

وتعيش بعض شعوب العالم الثالث أو معظمها بين المطرقة والسندان ، وهما قوتان تعتمد كل واحدة منهما علي الأخري في وجودها واستمرارها ، وهما قوي المؤامرات الخارجية وقوي الاستبداد الداخلي وهما حقيقتان لا يمكن تجاهلهما أو التهوين من شأن أي منهما فمن المستحيل أن تنجح المؤامرة من الخارج في إثارة أي شعب علي النظام الحاكم إلا إذا كان هذا الشعب يعاني من الاستبداد الداخلي ، وكذلك من الصعب جداً أن يجد الاستبداد الداخلي مبرراً لوجوده واستمراره دون أن يحذر الشعب من وجود مؤامرة خارجية قد تؤدي إلي ضياع هذا الشعب ، والطريف أن كلاهما صادق بالفعل فكلاهما حقيقة لا مفر منها ، ويكون الشعب بين مطرقة الاستبداد الداخلي وسندان المؤامرة الخارجية فيستسلم لأحدهما وغالباً ما يكون تمسكه بالاستبداد الداخلي كأهون الخيارين الذي أحلاهما مر ، وخاصة عندما يري تأثير ما حدث لمن اختار الاختيار الثاني فيجد دولاً تحولت إلي أطلال وشعوباً تحولوا إلي لاجئين

أعتقد أن الاستبداد الداخلي يبدأ أولاً فيُضعف من كيان الدولة ويُفقر شعبها لأنه عادةً يرتبط بالفساد فالمستبد لص فاسد يريد تحقيق مصالحه هو وعصابته علي حساب الشعب ، ومن هنا تستغل الدول الأخري هذا الموقف فتساعده علي تدعيم مركزه في مقابل تحقيق مصالحها

أي أن هذه الدول تمتص دماء الشعوب المقهورة وتتقاسمها مع أنظمة فاسدة مستبدة تحكم هذه الشعوب

بكل تأكيد فكما قلنا أن الدول بلا أخلاق وأن المصالح فقط هي التي تحركها وأن من مصلحة الشعوب الحرة أن تعيش شعوب أخري مقهورة

ومعروف أن الظلم وحده لا يولد الثورة فلابد من الإحساس بهذا الظلم أولاً كي تقوم الثورة ، فقد يكون هناك شعب مظلوم ولكنه لا يشعر بحجم المأساه التي يعيشها نتيجة لأمور كثيرة يعمل النظام علي استمرارها مثل انخفاض مستوي التعليم وغياب الوعي مع الإلهاء بأمور تافهة ونشر ثقافة الاستهلاك فلا يهتم الشعب إلا بما يُفرض عليه فرضاً ، وخذ مثلاً علي ذلك من أشهر وأوضح الأمثلة وهو مباريات كرة القدم والمشاكل التي تحدث بين الأندية والإعلام الرياضي المريض كل هذا يأخذ الشعب إلي طريق بعيد جداً عن مشاكله الحقيقية

أما الدول المتقدمة فقد حلت مشاكلها ونظمت حياة مواطنيها وضمنت لهم الطعام الصحي والعلاج المناسب والعمل والسكن وجميع احتياجات المجتمع ثم تحولت إلي الرفاهية ، والاهتمام بكرة القدم رفاهية لا نملكها ، وبالتالي تتحول إلي خطة إشغال كبري لإلهاء الشعب بانتصارات لا تحل مشاكله الحقيقية ، بل إنني أعتقد أن من يقوم بذلك يرتكب جرائم في حق الشعب بحجة أنه يرفع روحه المعنوية

الفرق بين التغريب والتحديث

هناك فرق كبير ولتوضيح ذلك سأقرأ لك مقتطفات من كتاب ودخلت الخيل الأزهر لمحمد جلال كشك لأنه شرح هذا الفرق بأسلوب رائع حيث قال : اليابان وحدها عرفت الجواب الصحيح : التحديث لا التغريب ، ولكي يتحقق التحديث لابد من رفض التغريب ، بل نزعم أنه بقدر الإصرار والنجاح في رفض التغريب يكون النجاح في تحقيق التحديث ، تمسكت اليابان بدينها – – وتمسكت بنظامها الملكي – – وبينما كان يجري التحديث بأعلي معدل عرفته دولة إلي النصف الثاني للقرن العشرين ، كان الياباني محتفظاً بحياته العائلية والاجتماعية وتقاليده وتراثه ، يرتدي القفطان (الكيمونو) والقبقاب ، ويأكل علي الطبلية بالعصي ، محتقراً الجنس الأبيض ، مقتنعاً بإصرار متزايد أنه خير أمة علي ظهر الأرض ، محتفلاً بأعياده القومية ، – – ظل المسرح الياباني يقدم روايات التراث وبنفس الأسلوب منذ قرون ، وظلت المرأة في مكانها التقليدي ودورها الأساسي وظلت علي احترامها للزوج وخلع حذائه بيديها ، واليابان هي البلد الشرقي الوحيد الذي لم تظهر فيه حركة تحرير المرأة لذلك أصبحت مجتمعاً حراً وحافظت علي استقلالها ، لأنها عرفت أن المرأة لا تتحرر وحدها ، وأنه لا حرية لامرأة ولا لرجل في مجتمع ضعيف متخلف فاقد الاستقلال ، أو مهدد بفقده في أية لحظة ، وبعكس ما بُذل من جهد في بلادنا لتعليمنا استخدام الشوكة والسكين أو آداب المائدة ، لم

يحدث قط أن حاول اليابانيون الأكل علي الطريقة الغربية ، فالأمة التي تُلقَّن أنها بحاجة إلي أن تتعلم آداب المائدة من عدوها هي أمة فقدت احترامها لنفسها ، ويستحيل أن تنجز أي تفوق ، التحديث : هو امتلاك كل المعرفة التي يتفوق بها الغرب ، إنتاج كل المعدات التي ينتجها الغرب ، وكل ما تحتاجه أمة من الأمم لتحقيق هذا التحديث هو إرادة قومية ، وتعبئة هذه الإرادة وتوجيهها في طريق التصنيع أو التحديث إذا كان البلد مستقلاً ، أو في طريق تحرير الإرادة القومية عبر حرب التحرير الوطنية ، التي يتم التحديث خلالها ، لكن يُشترط قبل ذلك أن تؤمن الأمة بأن تخلفها هو ظاهرة عارضة ، وأن أصالتها تمكنها من تجاوز هذه المرحلة العارضة ، أما التغريب ، فيبدأ من إقناع الأمة الشرقية أنها متخلفة في جوهرها ، متخلفة في تاريخها وصميم تكوينها ، ومن ثَم فلابد من انسلاخها تماماً عن كل ما يربطها بماضيها ويميز ذاتها ، وإعادة تشكيل المجتمع علي الطراز الغربي من ناحية العادات والمظاهر السلوكية ، مع إبقائه متخلفاً عاجزاً عن إنتاج سلع الغرب ، عاجزاً عن اكتساب معرفة الغرب ، فإذا ما اكتسب بعض أفراده هذه المعرفة ، يجدون أنفسهم غرباء عاطلين عن العمل في مجتمعهم فيضطرون إلي النزوح إلي عالم المتفوقين ، المجتمع المُغرَّب هو ذلك المجتمع الذي تزدحم طرقاته بأفخر وأحدث السيارات المستوردة ، وتضم مدنه أفخم دور عرض الأفلام المستوردة ، ويرتدي أهله أحدث المنسوجات المستوردة ، وعلي أحدث الموضات الغربية ، ويثرثر مثقفوه في قاعات مكيفة بأجهزة – مستوردة – في مشاكل المجتمع الغربي وآلامه ، ويملأون صفحات من ورق مستورد تطبع بحبر مستورد وبآلات مستوردة حول قضايا –الغرب – علي بعد خطوات من كهوف مواطنيهم حيث البلهاريسيا والكوليرا وكل تراكمات التخلف ، كان التغريب هو الطريق المضمون لخسارة معركة التحديث ، وكل الدول التي تم تغريبها أو اختارت طريق التغريب وانشغلت في قضاياه ، ظلت علي تخلفها ، بل وأخطر من ذلك أن التغريب يقضي علي روح المقاومة في الأمة الشرقية ، فيجعل استعمارها من قِبل الدول الغربية المتفوقة أسهل ، وحكمها أيسر ، ويجعل استغلالها أعمق وأكبر عائداً وأقل كلفة ومخاطر ، من هنا كان اهتمام الغرب بترويج فكرة التغريب بين صفوفنا ، فمنذ الحملة الفرنسية وهناك استثمارات فكرية تهدف إلي إقناعنا بأنه لا تحديث إلا بالتغريب

هرم الحاجات المختل

هرم الحاجات هو هرم مدرج تخيِّلي له قاعدة كبيرة وأعلاها قاعدة أصغر منها ثم أصغر كلما ارتفع لأعلي وهكذا ، وهذه القواعد تعبر عن الأولويات والحاجات الأساسية التي تتدرج في الأهمية كلما زاد ارتفاع الهرم ، بحيث لا يمكن الصعود إلي درجة أعلي إلا بعد المرور علي الدرجات الأقل منها وهكذا

والقاعدة الكبري الأساسية في هذا الهرم أو الحاجة الأساسية الأولي في هذا الهرم هي الأمن والأمان بالطبع ، فأنت إذا كنت تتضور جوعاً مثلاً وتمسك بيدك قطعة من أشهي أنواع الطعام هل يمكنك أن تتناولها وهناك حيوان مفترس يطاردك ، وكيف تستطيع أن تأكل طعاماً إذا كنت أنت نفسك طعام لغيرك

إذن فنحن متفقون جميعاً أن الأمن هو المطلب الأساس والقاعدة الأولي للهرم فلا يمكن أن تفكر في أي حاجة أخري أثناء وجود خطر علي حياتك ، أما بعد أن تبتعد عن الخطر وتتواجد في مكان آمن سوف تحتاج بالتأكيد إلي الطعام والشراب وهي القاعدة الثانية في هذا الهرم ثم تأتي الحاجة إلي المأوي وهكذا تتدرج حاجاتك طبقاً للأولويات فهناك الحاجة إلي العلاج والتعلم والحاجة للعمل والكسب والحاجة إلي الزواج والإنجاب والحاجة إلي العدالة والكرامة وقد يختلف هرم الحاجات بعد ذلك من شخص إلي آخر أو من بيئة إلي أخري ولكن يظل الأمن والطعام والمأوي هم الثلاثة حاجات الأساسية لجميع البشر

أما الاختلال فيحدث في هذا الهرم عندما تعتقد أنك في حاجة لأشياء لست في حاجة إليها بالفعل أو علي الأقل هناك ما هو أنت أكثر احتياجاً إليه

فهناك من يعتقد أنه في أمس الحاجة لأشياء معينة ويبذل مجهود غير عادي بل وقد ينفق كل ما يملك من الأموال ليحصل عليها برغم أنه في الواقع يعاني من نقص حاد في حاجات أخري قد يؤذيه غيابها ويفقد ما يملكه من مال من أجل لا شئ

وللأسف هناك من يعبث بهذا الهرم بقصد أو بغير قصد ، لأن العبث بهرم الحاجات يجعلك تسيطر علي المجتمع وتقوده في أي اتجاه تريد لتحقق مصالح معينة قد تكون داخلية أو خارجية أو كليهما

ويختلف هرم الحاجات للشعوب عن هرم الحاجات للأفراد ، فكل دولة لها حاجات استراتيجية كأمنها القومي والاكتفاء الذاتي من الطعام والدواء والسلاح وكل شعب يحتاج لتنفيذ القانون علي الجميع والقضاء علي الفاسدين والمستغلين وتوفير الكرامة الإنسانية والحرية وحقوق الإنسان ولكن في النهاية حاجات الشعوب تعتبر امتداد لحاجات الفرد ولكن بمقياس رسم أكبر وفي النهاية فإن تحقيق حاجات الدولة الحقيقية يؤدي إلي تحقيق حاجات أفرادها بلا شك

وللأسف أيضًا هناك من يعبث بهرم الحاجات للدولة كلها ، فتجد دول تعبث بهرم الحاجات لدول أخري لتجعلها في حاجة دائمة لها بل إنها تضيف إلي هذا الهرم حاجات غير مهمة لتسيطر بها علي دول وشعوب أخري فتثير الفتن والمشاكل والحروب بين الدول وتبيع لها السلاح مثلاً وهي ليست في حاجة إليه في الأساس ، وبالعبث بهرم الحاجات يتم ترويج العديد من المنتجات الاستهلاكية التافهة كالموضة مثلاً

وتحتاج كل الدول للسلاح بالطبع ولكن من المؤكد أن إنتاجه أفضل من امتلاكه بالشراء ، لأن في ظل التطور التقني (التكنولوجي) والعلمي الرهيب والغير مسبوق لا يمكنك أن تثق في أي سلاح تستورده من الخارج سواء طائرات أو مدمرات أو غواصات أو رادارات وصواريخ أو أي معدات لأنك لا تعرف كيف تمت برمجتها وهل يمكن لمُنتجها التحكم فيها بعد بيعها أم لا وهل سيكون السلاح فعال إذا قمت باستخدامه ضد مصالح الدولة المنتجة له ، فضلاً عن احتياجك الدائم لصيانته وتوفير قطع غيار له وما إلي ذلك

وهذا يعني أن عدم إنتاج السلاح يعبر عن عدم وجود سلاح من الأساس ، والأهم من السلاح هو الغذاء فما جدوي انتاج أو امتلاك سلاح وأنت تعتمد علي دول أخري في غذاءك وملابسك وسياراتك وأجهزة اتصالاتك ودواءك وكل ما تستخدمه من تكنولوجيا في بيتك وعملك ومصنعك ومستشفياتك إلخ

فالدول المنتجة لكل هذا تتحكم في الدول المستهلكة ، وكل شعب لابد أن يعرف جيداً احتياجاته الحقيقية ويعتمد علي نفسه في توفيرها بالتدريج ، ولكن قد لا يسمح له أعداءه بهذا ، والسبيل الوحيد لتحقيق كل هذا هو بناء الإنسان وتعليمه فهو الذي سيقوم بكل هذا ، أما تدمير الشباب وتحويلهم إلي مسخ مشوه تافه لا يعرف أي ثوابت أو مبادئ ولا يهتم إلا بأتفه الأمور ويجهل تماماً هويته وتراثه وتاريخه وتراه غزير المعلومات عميقها في كل ما يختص بكرة القدم العالمية أو المحلية والأعمال الفنية المختلفة وتراه مع كل هذا عبداً لشهواته منجذباً إلي الغرب الذي يذله ويدمر أوطانه ويشعر بدونية وهزيمة نفسية بشعة علي الدوام أمام الغرب معتقداً أن التغريب هو التحديث كما ذكرت

أحاديث في حقوق المسلم

أما الأحاديث فكثيرة فيما يتعلق بحق المسلم على أخيه، وسمعتم بعضها من الإخوان من المشايخ، ومن أجمعها ما سمعتم في أول هذه الندوة، قوله ﷺ: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، هكذا المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكت عينه اشتكى جسمه كله، إذا اشتكى يده اشتكى الجسم كله، وهكذا فالمؤمنون جسد واحد، والمؤمنات كذلك، كلهم جسد واحد، وكل يعلم حال الجسد إذا أصيب بمرض في أي موضع منه عم الألم وعم التعب، وهذا مثل عظيم، هذا مثل من النبي مثل عظيم عليه الصلاة والسلام يدعو إلى التكاتف العظيم، والتعاون بين المسلمين والمسلمات، والتعاطف، ويرفق به ويواسيه إذا احتاج، ويعينه على قضاء دينه، ويدفع عنه الظلم، ويجتهد في كل خير ينفعه، ودفع كل شر.

ومن أجمع الأحاديث أيضًا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه. هذا المثل العظيم ماذا ترك هذا المثل والذي قبله، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وشبك بين أصابعه، كلكم يعرف البنيان يشد بعضه بعضًا، فلو أن المؤمنين والمؤمنات امتثلوا هذا المعنى لصار لهم شأن عظيم، ولاستحقوا النصر على جميع الأعداء، ولفازوا بكل أسباب السعادة، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وشبك بين أصابعه، معنى هذا أن المؤمن يدفع الشر عن أخيه، ويعينه على الخير، ويواسيه حتى يستقيم ويثبت على الطريق السوي، وحتى لا يصاب بشيء من النقص.

ويقول أيضًا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهذا أيضًا جامع، لا يؤمن أحدكم يعني الإيمان الواجب، فإذا أحسست بشيء من النقص في هذا المعنى فهو نقص في إيمانك، وضعف في الإيمان، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإذا كنت تحب لأخيك أن يفتقر وأن يمرض وأن يضرب وأن يسجن فهذا خلاف ما يجب عليك، وهذا بلا شك ضعف في إيمانك، وضعف في ولايتك لأخيك لأنك مأمور بخلاف ذلك، وهذا ينتج عن الحسد الذي في القلوب، وعما يقع من الشحناء والبغضاء والخصومات إلى غير ذلك، فالواجب علاج ذلك، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام، لما كان الإنسان قد يبتلى بالخصومة مع أخيه أو بأسباب تجعل الشحناء تقع بينه وبين أخيه عفا الله عن الثلاث؛ لأن النفس قد لا تقوى على السلام عليه في أقل من الثلاث بسبب الخصومة والشحناء التي وقعت بينه وبينه، فعفا الله عن الثلاث حتى يزول بعض ما في النفس، وحتى يقوى على بدئه بالسلام، ورد السلام عليه، وحتى تعود المياه إلى مجاريها، وتعود الولاية والمحبة، وهذا من رحمة الله وإحسانه إلى عباده جل وعلا.

فالواجب على أهل الإيمان على المسلمين جميعًا أن يعنوا بما أمرهم الله به، وبما أمرهم به رسوله ، من أداء الحقوق التي بينهم، والصبر عليها، وإيثار ما عند الله، وطلب رضاه جل وعلا، وترك ما في النفوس من آثار قد تطول إلا بالعلاج، وعلاجها بتذكر ما عند الله من المثوبة، وما في مسامحته لأخيه وعفوه عن أخيه ورجوعه إلى طريق الصواب من الخير العظيم.

ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه لا يظلمه هو لا في مال ولا في نفس ولا في بشره ولا في عرض، ولا يسلمه إلى من يظلمه يعني لا يخذله، لا

يسلمه يعني لا يخذله، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته هذا أمر عظيم، وهذا في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة، وفي الحديث الثاني رواه مسلم: والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، سمعتم الكثير منها من أصحاب الفضيلة، فينبغي لكل واحد منا الجد في العمل.